هكذا علم رسول الله صلى الله عليه وسلم طريقة تعليم القرآن وتدريسه

د. خضر محمد
إبراهيم عبد الله

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتب ولم يجعل له عوجًا... والصلاة والسلام على أول معلم للقرآن، وسلّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد...

فإن القرآن الكريم كلام الله المُعجز، نزل لفظًا ومعنًى وطريقة من الله تعالى، وقد ثبت أن جبريل عليه السلام في أول آيات نزل بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: (اقرأ) ثلاثًا، فقال: (ما أنا بقارئ)، فقال: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ(سورة العلق، الآيات: ١-٥).

وذات مرة أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتسرّع في تلقي القرآن، فنهاه الله عن ذلك، وبيّن له أن طريقة حفظ القرآن وقراءته وبيان معانيه من عنده تعالى، بقول تعالى: لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ(سورة القيامة، الآيات ١٦-١٩).

ومنذ نزول القرآن الكريم في مراحله الأولى، علم رسول الله صلى الله عليه وسلم طريقة تعليم القرآن وتدريسه للناس بواسطة الوحي جبريل عليه السلام، ثم صارت هذه الطريقة إلى يومنا هذا، أخذها القرّاء والشيوخ وستظل محفوظة بحفظ القرآن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

من أجل ذلك، قام معلمو القرآن الكريم بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية بتدريس القرآن الكريم بالطريقة التي نزل بها، حيث يقرأ الشيخ في الحلقة للطلاب وهم يستمعون لقراءته، ثم يعطيهم الفرصة في القراءة واحدًا تلو الآخر، وهو يتابعهم ويصحّح أخطاءهم حتى نهاية المحاضرة، وبينما هم يؤدون رسالتهم ويقومون بواجبهم، طالعنا الدكتور علي عبد الله محمد حسين - عميد كلية الشريعة والقانون- باقتراح عنوانه (تحسين تدريس مادة القرآن الكريم ووضعية عمادة القرآن الكريم ومطلوبات الجامعة) في جريدة نور المثاني - العدد (٦١) محرم ١٤٣٦هـ الموافق له نوفمبر ٢٠١٤م. حيث طرح الدكتور مشكلة حقيقية وهي ضعف الطلاب في مادة القرآن، وطلب - مشكورًا - مناقشة هذا الموضوع علميًا، ورأى في مقترحه أن الحل يَكْمُن في فصل قسم القرآن الكريم عن العمادة، ويُرجع إلى كلية القرآن الكريم، وتظل العمادة قائمة مستقلة تؤدي دورها كاملاً، كما دعا بفصل مادة القرآن الكريم فنيًا عن المقررات الدراسية وعن نتائج الطلاب.

وحتى تتضح الصورة، نذكر ما قاله ثم نرد عليه، فقال: (فلا يخفى على الإخوة أعضاء هيئة التدريس والعاملين بالجامعة وأبنائنا الطلاب، الضعف الواضح في تحصيل الطلاب لمادة القرآن الكريم في هذه الجامعة... وعرض هذا الاقتراح ليس جديدًا، فقد سبق أن تقدمت به أكثر من مرة - شفاهةً وكتابةً - لعدد من الإخوة المسؤولين في عمادة القرآن الكريم نفسها والإدارة العليا للجامعة... وفي ظني أن الظروف التي استدعت دمج عمادة تعليم القرآن الكريم مع مطلوبات الجامعة قد انتهت، وبالتالي آن الأوان لكي ترجع عمادة القرآن الكريم إلى وضعها الطبعي لتكون ضمن مكونات كلية القرآن الكريم، وتظل عمادة مطلوبات الجامعة مستقلة لتقوم بدورها كاملاً... وتُفصل مادة القرآن الكريم فنيًا عن المقررات الدراسية وعن نتائج الطلاب... وتستخرج النتائج الفصلية خالية من مادة القرآن الكريم... وتُكرر فرص الامتحان للطلاب الذين يرسبون حتى ينجحوا في مادة القرآن الكريم...).

فالحق يقال: إن عنوان المقترح لا يناسب أو يوافق طرح المشكلة، التي لم يذكر الكاتب أسبابها، وما ذكره من إجراءات ومبررات لا يعتبر حلاً لهذه المشكلة. والسؤال الذي يفرض نفسه: هل ضعف الطلاب في مادة القرآن الكريم سببه إداري يستحق تفكيك العمادة؟ أم سببه المعلم في المادة؟ فيعاقب بفصل مادته ونتيجتها عن المواد الأخرى، كما فصل عن زملائه في هيئة التدريس بالهيكل الفني الذي لا يناسب أهل الله وخاصته، فالإجابة عن هذه الأسئلة واضحة، حيث إن ضعف الطلاب ليس في مادة القرآن الكريم، وإنما في كل المواد، وهذا لم يذكره كاتب المقال إذا أراد الإنصاف والمقارنة بين المواد التي تدرّس في الجامعة. يقول تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا(سورة النساء، الآية ١٣٥).

وإذا سلّمنا بضعف الطلاب في مادة القرآن فقط، هل سببه الطلاب أم المعلمون؟ أم عنصر آخر؟ وإذا كان السبب الطلاب، فهل يرجع إلى عدم حفظهم للقرآن أو تسميعه؟ أم يرجع إلى عدم معرفتهم للتلاوة التي تعرف بالأداء وتطبيق أحكام التجويد، كما أشار الكاتب (تحسين تدريس مادة القرآن الكريم).

عمومًا، فالأسباب عدة: ترجع إلى الطالب في المقام الأول، ثم كثرة المقرر في القرآن الكريم، ثم عدم إعداد البيئة التعليمية، ثم قلة معلمي القرآن الكريم، ثم الإدارة العليا.

السبب الأول: ضعف الطلاب في القرآن الكريم:

يرجع إلى عدم الاهتمام بالحفظ كأولوية، لأن الحفظ سبب النجاح في القرآن التحريري والتقويم، الذي يُعرف بـ(التسميع) في مادة الشفوي. والطلاب الذين نجحوا هم قد حفظوا المقرر أو جُلّه. كما أن من الأسباب تأخير الطلاب مع ذويهم وحضورهم بعد مضي نصف الزمن من الفصل الدراسي، يُضاف إلى هذا انشغال الطلاب باهتمامات أخرى كالعمل الرياضي أو الثقافي أو الدعوي، أو البحث عن كسب الرزق أو العيش الكريم.

السبب الثاني: كثرة المقرر في مادة القرآن الكريم:

فلا يمكن لطالب يدرس موادًا أخرى أقلها ثمان مواد في الفصل الدراسي لكل كلية، وهو مقرر عليه ثلاثة أجزاء في العام الدراسي، فأين الوقت الذي يحفظ فيه ثم يراجع فيه كبقية المواد؟ لذلك نجد كثرة المقرر قد أدى إلى ضعف الطلاب في مادة القرآن، لأن الطالب إذا قسناه بطالب الخلوة، فنجد الجزء المقرر عليه في الأسبوع بمعدل (٤) ألواح مقابل (٦) ألواح لطالب الخلوة بنسبة ٦٦٪، بينما طالب الخلوة مفرغ أصلاً لحفظ القرآن ومدارسته، بينما طالب الجامعة ليس مفرغًا، بل عندما يرجع إلى السكن الذي يقيم فيه تجد عليه أثر التعب والمشقة من مواصلات وغيرها.

السبب الثالث: عدم إعداد البيئة الدراسية وتهيئتها:

ونعني بذلك مكان الحلقة، فالطلاب يجلسون في مواضع ضيقة بالقاعات، وعدد الحلقة الواحدة (٣٥) طالبًا لا يوجد فاصل بين الحلقة والأخرى، والازدحام يؤدي إلى تداخل الأصوات وارتفاعها بدرجة لا يسمع الطالب فيها زميله الذي يتابعه، بل إن الشيخ يُجلس الطالب أمامه كي يسمع قراءته، فيصوّبه، ثم إن الحلقات تحتاج إلى بساط مفروش أو كراسي جَلوس مريحة ووسائل تبريد كالمراوح والمكيفات. وقد يوجد هذا بصورة غير كافية ومساعدة لتلقي العلم وتلاوة القرآن الكريم، علمًا بأن بعض الوسائل معطلة أو تحتاج إلى صيانة.

السبب الرابع: قلة معلمي القرآن الكريم:

فإذا لم يكن عدد المعلمين كافيًا لإدارة الحلقات وتمكين الطلاب من التسميع أو تصحيح المقرر في المحاضرة الواحدة لكل طالب، يؤدي هذا إلى ضعفهم وعدم نجاحهم في مادة القرآن الكريم التحريري أو الشفوي)، وهذا ظاهر في قراءة الطلاب وتلاوتهم في الحلقات والامتحان الشفوي أمام اللجان: ولا ينكره أحد، ومهما حاول الشيخ إصلاح ذلك فلا يستطيع لكثرة الطلاب في الحلقة الواحدة.

وقد أجريتُ في وقت سابق مقارنة بين حلقة عدد الطلاب فيها عشرة، وحلقة فيها أكثر من عشرين طالبًا، فوجدتُ الفرق كبيرًا، حيث تمكّن الطلاب العشرة من التصحيح مع تمكنهم من الأداء بالترتيل، ولم يتمكن الآخرون في الحلقة الأخرى من تصحيح الواجب أو الأداء بالترتيل بسبب الكثرة. فالمعلم في مادة القرآن الكريم التي حفظها عن ظهر قلب وأجيز في حفظه من شيخه ومن لجنة إجازة الحفظ بالجامعة في شهادة بتقدير (جيد جدًا) كحد أدنى، ثم مارس التدريس داخل الجامعة وخارجها، وله مؤهلات أخرى كالبكالريوس، بل بعضهم قد حصل على الماجستير والدكتوراة ودرسوا العلوم الشرعية وعلوم القرآن في المعاهد الدينية ودور العبادة، لم يكن بأية حال من الأحوال سببًا في عدم توصيل مادته أو سببًا في ضعف الطلاب، ولو وُجد من يقصّر في واجبه فعلى المشرفين وإدارة العمادة أن تخبر به الإدارة العليا، لأن المقام مقام جرح وتعديل وتصويب وتطوير وأمانة علمية تقوم عليها عملية تعليمية مرتبطة بالمجتمع الرسالي.

السبب الخامس: عدم قيام الإدارة بدورها أو تساهلها في أداء الواجب أو إعطاء الأولويات لمن لا يستحق ترتيبًا في العمل:

كل هذا ممكن، ويؤدي إلى ضعف الطلاب إذا لم تهيّأ البيئة التعليمية من قِبَل الإدارة أو توفير المعلمين أو متابعة سير العملية التعليمية في تطبيق المنهج القرآني (كثرةً أو قلة). وقد ذكر الدكتور علي عبد الله محمد حسين أنه أبلغ الإدارة العليا فإذًا لماذا لا تتحرك هذه الإدارة العليا لحل هذه المشكلة مبكرًا؟ حتى لا تؤدي إلى استقالة بعض الطلاب كما ذكر. وقد تتعلل الإدارة بتعيين معلمي القرآن كل عام، ولكن هذا لا يوافق الأعداد المقبولة الكثيرة من الطلاب في كل عام.

أما بخصوص تفكيك العمادة، فهذا ليس بحل؛ لأن تحويل قسم القرآن الكريم إلى كلية القرآن الكريم أو إبقاءه مع قسم مطلوبات الجامعة لا يقدم ولا يؤخر، وإنما الذي يترتب عليه الأثر نجاحًا أو إخفاقًا هو المعلم بالدرجة الأولى، حيث يؤدي رسالته متى ما استقر به المقام. وضمانه في الأداء قرآنه وأخلاقه والله مولاه وهو خير الشاهدين، ثم إن المشرفين الأكاديميين بالعمادة يتابعون عمله في أداء مهمته ويرفعون التقارير عن كل ما يتطلب رفعه.

وأما فصل مادة القرآن الكريم فنيًا عن المقررات الدراسية وعن نتائج الطلاب، فهذا الفصل حاصل حاليًا، ولكن كونه يكون نهائيًا، حيث ترفع درجات القرآن وتوضع بعد تخرجه في النتيجة بعد تصفيتها إن كان ممن يرسب في القرآن، ويكون هذا حلاً لا يصاحبه الصواب والعدل، لأن الضعف موجود في كل المواد، وهي ليست بأفضل من مادة القرآن. علمًا بأن كل المؤسسات التعليمية - حكومية أو أهلية - لا تفصل مادة القرآن الكريم عن المواد الأخرى، وهذا يتعارض مع المنهج الذي تقوم عليه الجامعة، وإن المنهج يحتاج إلى مراجعة من حيث الكثرة، ويمكن أن يُقلّل كما أوضحنا وبيّنا في الحلول المقترحة.

وإذا قُدّر لمقترح كاتب المقال بفصل النتيجة نهائيًا، فالحصيلة تكون أن الجامعة قد تنازلت عن رسالتها القرآنية، وعن تميزها به عن الجامعات الأخرى داخليًا وخارجيًا، بل يؤدي هذا إلى إقصاء القرآن الكريم كليًا وإبعاد معلميه كما يحلو لبعضهم.

وقد بدأ هذا المشروع بفصل معلمي القرآن الكريم عن أعضاء هيئة التدريس، ثم تنازلت الإدارة العليا عن شروط حفظ الأجزاء لمن يريد الالتحاق بالجامعة، بما في ذلك كلية القرآن الكريم (قسم الدراسات الإسلامية)، فهذا ليس حلاً كما ذهب إليه كاتب المقال ، وإنما الحل يكون في حفظ القرآن المقرر على الطلاب في كل فصل دراسي، سواء أكان المقرر قليلا أم كثيرًا في الجامعات المماثلة الأخرى.

وكذلك الحل يكون بتقليل المقرر أو المنهج في القرآن في الكليات (دون كلية القرآن الكريم ذات التميز الفريد والمفيد)، فبدلاً من ثلاثة أجزاء في العام الدراسي يقلّل إلى جزأين: كل فصل بجزء بمعدل لوحين في الأسبوع (ثمن الجزء) بدلاً من أربعة ألواح في الأسبوع (ربع الجزء). وهذا يمكّن الطلاب من التصحيح وتجويد الأداء وتسهيل الحفظ ، خاصة إذا قُلّل عدد الطلاب في الحلقة إلى عشرة فقط، وكذلك من الحلول الناجعة توفير معلم القرآن الكريم، مهما كان الثمن أو غلى المهر، إذا أردنا الرسالة القرآنية التي تأتي بحقها العلمي والأدبي مع الله والمجتمع والنفس. يقول الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ(سورة فَاطِر، الآيتان ٢٩-٣٠). وحسب علمي فإن وزارة التعليم العالي جاهزة، ممثلة لدولتها التي أكرمت القرآن وأهله.

ومن الحلول إصلاح البيئة التعليمية التي ترفع من قدر القرآن، لأن القرآن يعلو ولا يُعلى عليه، فهو فوق العلوم ومصدرها، فلا رفعة للأفراد ولا المجتمعات ولا للأمم إلا به.

وأخيرًا، حضور الإدارة بخططها ولوائحها المنظمة وفق المنهج الرباني الذي لا يعرف المحسوبية أو التنصل عن المسؤولية وإنصاف الفرد ولو كان ضعيفًا.

لذلك أرجو أن يُفهم هذا الرد في تناول هذه المشكلة وتوضيح أسبابها ووضع الحلول لها وأن يُفسّر وفق ما سُطِر، وأن ينزل في مقام الرد العلمي لا القدح أو التقليل، وأن يؤخذ في إطار المناصحة والتجاوب لا العتاب وإغلاق الباب. يقول تعالى: وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ(سورة البقرة، الآية ٢٨٣). ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (... وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم...)(أخرجه مسلم)

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان.

معلم للقرآن الكريم
ورئيس لجنة امتحان القدرات
عمادة تعليم القرآن الكريم ومطلوبات الجامعة

أنتبهـــوا

أ.د. محمد موسي البر

موقف وعبرة

روي في الأثر الصالح ، أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، قد زار مدينة حمص أثناء خلافته، وكان أميرًا عليها في ذلك الوقت الصحابي الجليل سعيد بن عامر رضى الله عنه، فسأل عمر الناس عن أميرهم. يقول خالد

استعمل علينا عمر بن الخطاب بحمص سعيدًا بن عامر بن جزيم الجمحي، فلما قدم عمر بن الخطاب حمصًا قال : يا أهل حمص كيف وجدتم سعيدًا بن عامر؟ فشكوه إليه قالوا: نشكوا أربعًا: لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار، قال أعظم بها، قال : وماذا؟ قالوا : لا يجيب أحدًا بليل، قال أعظم بها، قال: وماذا؟ قالوا : وله يوم لا يخرج فيه إلينا، قال: عظيمة،قال: وماذا؟ قالوا تأخذه الرعشة بين الحين والآخر.

قال فجمع عمر بينه وبينهم. وقال : اللهم لا تقبل رأي فيه اليوم، ما تشكو منه؟ قالوا : لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار، قال والله إن كنت لأكره ذكره، ليس لأهلي خادم فأعجن العجين ثم أجلس حتى يخمر ثم أخبز خبزي ثم أتوضأ ثم أخرج إليهم فقال:ما تشكون منه؟ قالوا لا يجيب أحدًا بليل.

قال ما تقول؟ قال: إني كنت لأكره ذكره إني جعلت النهار لهم وجعلت الليل لله عز وجل.

قال: وما تشكون منه؟ قالوا: إن له يومًا في الشهر لا يخرج إلينا فيه، قال؟ ما تقول؟ قال: ليس لي خادم يغسل ثيابي وليس لي ثياب أبدلها، فأجلس حتى تجف ثم أخرج إليهم من آخر النهار.

قال: ما تشكون؟ قالوا تأخذه الرعشة بين الحين والآخر.

قال: شهدت مصرع خبيب الأنصاري بمكة وقد قطعت قريش لحمه ثم حملوه على جذعه، فقالوا: أتحب أن محمدًا مكانك؟ فقال: والله ما أحب أني في أهلي وولدي، وأن محمدًا صلى الله عليه وسلم شيك بشوكة، ثم نادى يا محمد، فما ذكرت ذلك اليوم وتركي نصرته في تلك الحال وأنا مشرك لا أؤمن بالله العظيم إلا ظننت أن الله عز وجل لا يغفر لي بذلك الذنب أبدًا قال فتصيبني تلك الرعشة

يمكن أن يراجع كتاب الأمة رقم ١٦٤.

د. الطيب محمود

الحافظ الأمين

العسل شفاء وهو كذلك من شراب أهل الجنة ولعدة عدة أسماء منها السنون بتشديد النون وضمها ومنه السلوى ، لأنه يسلو عن كل حلو وفيه يقول خالد بن زهير:

وقاسمهما بالله جهدًا لأنتم ×× ألذ من السلوى إذا ما نشرب

والمزج والأرس والضحك والضرب قال الشاعر:

فجاؤوا بمزج لم ير الناس مثله×× هو الضحك إلا أنه عمل النحل

والحافظ الأمين لأنه يحفظ ما يودع فيه، اللحم ثلاثة أشهر والفاكهة ستة أشهر.

استوصوا بالنساء خيرًا

أ.عواطف عبد الكريم أحمد

الجاهلية الأولى لم تعد المرأة إنسانًا، بل مجرد متاع في الحياه يتمتعون بها، وكانوا ينظرون إليها نظرة ازدراء واحتقار، وكان الرجال يرون أنها سلعة تباع وتشترى، وتسود وجوههم إذ بشر أحدهم بالأنثى، كما قال الله تعالى:(وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ، يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) النحل٥٨-٥٩

ثم جاء الإسلام وكرّم المرأة وصان حقوقها في آيات عديدة من كتاب الله وأكد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم: « استوصوا بالنساء خيرًا فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء « حديث متفق عليه.

قال تعالى:(وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) النساء١٩

أما رعاية الإسلام لحقوق النساء فقد جاءت في مواضع كثيرة من القرآن، حتى أنزلت سورة تحمل هذا الاسم «النساء» وهذا يبيّن مقام المرأة في الإسلام الحنيف.

وتحقق العشرة بالمعروف باحترامهن ، ورعاية حقوقهن، وإعطاء الحق لهن لزيارة آبائهن.

ومن حسن الوصايا بالنساء، تعليمهن أمور دينهن بالتمام والكمال وصيانتهن من التبرج والسفور ومن الاختلاط بالرجال، وقضاء حوائجهن، وتشجيعهن على طلب العلم ، وعلى اختيار الرفقة الصالحة لهن.